روائع الإحسان في حجة رسول الرحمٰن

محمد سلیم الدین*

Abstract:

Al-Hajj (Pilgrimage) is one of the pillars of Islam. The word Al-Hajj literally means the intention or wish to do something. According to shari'ah, Al-hajj is the pilgrimage to Makkah on appointed days in the months of Al-Hajj and to perform prescribed activities laid down by the prophet Muhammad (Peace be upon him.) It is obligatory for every able-bodied Muslim having a certain standard of financial solvency to visit to Makkah at list once in lifetime. It should be submitted to Almighty Allah (S.W.T) and followed by His Prophet Mohammad (sm). The pilgrims are expected to be ready to sacrifice themselves in their devotion to Allah. This is the main spirit of Al-Haj. .

The word 'Al-Ihsan' literally means to do the best. According to definition of Prophet (Peace be upon him): The worship of Allah like you see him, if you not able to see him, then remember that he see you. The scope of 'Al-Ihsan' is broad and comprehensive for all aspects of life.

The prophet Muhammad (sm) observed the Al-Hajj in the best format Al-Ihsan, there were best reflection of Tawhid, Muraqaba, Charity, Sacrifice, Kindness, Patience, Teaching the best manners, balance and moderation, facilitation and tolerance, advice and he present himself as the best example.

Keywords: Prophet Mohammad (Peace be upon him), Al-Hajj, Al-Ihsan

الحمدلله رب العالمين، الذي جعل حج بيته العتيق من أصول الدين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين قدوة الحجاج والمعتمرين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

*محاضر قسم علوم الحديث والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ بنغلاديش

الحج عبادة عظيمة ومناسبة عُمرية، حيث يجب على المؤمن القادر المستطيع في الحياة مرة واحدة، وهو عبادة يصحبها مشقات كثيرة مضنية من قطع مسافات هائلة في الانتقال من بلده إلى البلد الأمين - الذي ربما لا يعرفها الحاج ولا يستأنس بظروفها -، وترك الأهل والعيال، كما يحتاج إلى صرف أموال طائلة في تجهيز رحلة الحج من الذهاب والإياب، وأثناء الإقامة في البلد الحرام.

فمن البدهيات أن الحج ليس سهل المنال للجميع لعدم الاستطاعة، ولا يُوفَّق بأداءه إلا أصحاب الحظوظ، وعددهم قليل جدا بالنسبة لجميع المسلمين، فينبغي للموفَّقين أن يؤدوها بغاية الإحسان والإتقان، حتى لا يشوبه شائبة الرياء والسمعة، والإعجاب بالنفس، بل يجعل على نصب عينه قوله ﷺ: »أن تعبد الله كانك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك «،[1] وقوله: »لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه«.[2]

وقد لاحظنا في كثير من الحجاج — الذين يلوننا — بعضَ الأمور تعارض روح الحج ومعنى الإحسان فيه لسبب انتشار الجهل فيهم خاصة والمسلمين عامة، وفقدان الوعي الديني والتحمس الإسلامي. وقد صنف العلماء كتبا في أحكام الحج الظاهرة المتعلقة بالجوارح، التي يجب أن تتوفر فيهم لصحة مناسكهم، ولا تصح إن قُصِرت فيها، كما أَلَّفوا لمعالجة الأخطاء الشائعة في صفوفهم، ويمكن بدراستها أن يصلحوا أنفسهم، ويُصحِّحوا أعمالهم.

ثم إن هناك جوانب معنوية ترتبط بالقلب، وعند فقدانها لا يفسد الحج ولا يبطل، ولكن لا يتم ولا يكمل. الأحكام الظاهرة بمثابة الجوارح في الجسد، والأمور المعنوية بمثابة الروح فيه. ومن المعلوم لدى الجميع أن الجسد لا قيمة له بدون الروح. ولعل الله سبحانه وتعالى أشار إلى هذه الحقيقة بقوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23]. قال الإمام أبو جعفر الطبري في تفسير الآية: يقول الله تعالى: فجعلناه باطلا لأنهم لم يعملوه لله وإنما عملوه للشيطان. والهباء: هو الذي يرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوّة يحسبه الناظر غبارًا ليس بشيء تقبض عليه الأيدي ولا تمسه، ولا يرى ذلك في الظل.[3] وقد وضحها النبي: »إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم«.[4] فالموضوع ذو خطورة بالغة؛ لأن الحاج يبذل ثرواته الثمينة، ويمضي أوقاته الغالية، ويحمل مشقات السفر المضنية، ويؤدي مناسك الحج الظاهرة، ومع الأسف الشديد قد لا يقبل الله تعالى منه لعدم صلاحه المعنوي أو لعدم مطابقة أعماله بأعمال النبي.

من أجل ذلك أردنا أن نبحث عن أخلاق النبي الرائعة، وأحواله الفذة السامية، وإحسانه البالغ عند أداء العبادات أثناء حجة الوداع، وأن نستخرجها من أمهات كتب الأحاديث الشريفة،

والسير النبوية، التي إذا وضعها الحاج أمام عينيه سلم من الزلات المعنوية، كما يسلم من الأخطاء الظاهرة إن شاء الله تعالى.

مفهوم الإحسان

قبل الدخول في صلب الموضوع يجب علينا أن نلقي الضوء على مفهوم الإحسان.

الإحسان مصدر أحسن يُحسن إحسانا، من مادة "حسن". وكلمة الحسن تطلق على الجميل، ضد القبيح والسيء، كما تطلق كلمة "الإحسان" على ضد الإساءة. وهو يحسن الشئ إحسانا أي: يعلمه. واستحسنه: عده حسنا(٥)

أحسن الشيء: أجاد صنعه وأتقنه وإليه وبه فعل ما هو حسن، والاستحسان في اصطلاح أصول الفقه: ترك القياس والأخذ بما هو أرفق للناس. الحسن: الجمال وكل مبهج مرغوب فيه. الحسنة: ضد السيئة من قول أو فعل، وفي التنزيل العزيز: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ والنعمة، وفي التنزيل العزيز: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه﴾.(٦)

وقد عرَّف النبي الإحسان في حديث جبريل بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"(٧)

وعند التأمل في إطلاق القرآن والسنة لكلمة الإحسان، يتبين لنا أن مفهومه واسع وشامل لجوانب الحياة كلها.

فهو في باب العبادات أن تؤدى العبادة أيا كان نوعها من صلاة أو صيام أو حج أو غيرها أداءً صحيحاً، باستكمال شروطها وأركانها، واستيفاء سننها وآدابها، وهذا لا يتم للعبد إلا إذا كان شعوره قوياً بمراقبة الله -عز وجل- حتى كأنه يراه—تعالى- ويشاهده، أو على الأقل يشعر نفسه بأن الله تعالى مطلع عليه، وناظر إليه۔

مظاهر الإحسان في حجة الرسول ﷺ

والمتتبع في سيرة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ يرى جليا أنه ﷺ أروع الأمثال للإحسان وأكملها في كل حقل من حقول الحياة الإنسانية، وللاستيعاب لجميع جوانب إحسانه فيها يحتاج إلى موسوعات علمية، فضلا عن أن يحيطها مقالة صغيرة الحجم؛ فنحن نحصر جهودنا في إطار روائع إحسانه ﷺ في حجة الوداع بالاختصار الشديد لمن أراد أن يتعظ به. وبما أن السيرة النبوية تحتاج لثبوتها إلى الرواية الصحيحة، نذكر القضايا بإيراد الأدلة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة—على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم—.

وفي النقاط الآتية نتحدث عن بعض مظاهر الإحسان التي تجلت في حجته ﷺ على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر؛ لأنها أعظم من أن تحصى، وهي:

1-إبراز شعار التوحيد

الإسلام دين التوحيد الخالص: التوحيد في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته، والتوحيد في ربوبيته وألوهيته. التوحيد أعلى مقامات الإحسان في تحديد العلاقات بين العبد وربه، الذي ينفي الشرك بجميع أنواعه، بل جعله الذنب الوحيد الذي لا يغفر صاحبه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48]. فالإسلام دين لا يؤمن بالوساطة بين العبد وربه، ولا بمشهود محسوس يركز عليه الإنسان تفكيره، ويصرف إليه همته، فلا وسائط ولا مظاهر، ولا صور ولا أصنام، ولا طبقة كهان. فهو يطلب تجردا في الخيال، وسموا في الفكر، ونقاءً في الإرادة والنية، وإخلاصا في العمل والتطبيق، وانقطاعا عن الغير لا يتصور فوقه وأكثر منه، ومستوى في الفكر والعقيدة لم تبلغ الإنسانية ولا الأديان والفلسفات إلى مثله أو قريب منه(٨)

ولقد عمل النبي ﷺ في حجه ليبرز مظاهر التوحيد بأكملها امتثالا بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: 97]، فالحج وجميع العبادات تكون خالصة لله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162-163].

وكان النبي ﷺ يبرز شعار الحج التلبية، وفيها إعلان لوحدانية الله تعالى، كما ورد في حديث جابر: "فأهلّ بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك"،(٩) وقد استحسن النبي ﷺ رفع الصوت بها والإكثار منها، وقد سئل أي الحج أفضل؟ قال: »العجُّ والثجُّ«.(١٠) وقال ﷺ: »خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير«.(١١) ولم يترك لحظة إلا لبى فيها كما قال ابن مسعود: "...جهل الناس أم نسوا، والذي بعث محمدا بالحق لقد خرجت مع رسول الله من منى إلى عرفة، فما ترك التلبية حتى رمى جمرة العقبة أن يخلطها بتهليل أو تكبير"(١٢) وكذا أبرز شعار التوحيد في كل موقف من مواقف الحج.

2-مخالفة المشركين والبراءة من أعماله

الشرك ضد التوحيد لا يجتمعان في مكان واحد، فمن أراد أن يدخل في حمى الإسلام، فعليه أن يكفر الشرك وما في معناه كفرا باتا، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 256]، وقد نزلت آية البراءة في موسم الحج في السنة التاسعة من الهجرة قبل سنة واحدة من حجة الوداع، قال تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البراءة: 1]، وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ، فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [البراءة: 28]، فأمر النبي ﷺ أبا بكر بأن يؤذن في الناس: "لا يحج بعد العام مشرك". (۱۳)

وفي حجة الوداع خالف النبي ﷺ في كثير من شعائر الحج، فلبّى تلبية التوحيد "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك"، (۱۴) وهذه التلبية خلافا للمشركين؛ فإنهم يضمون فيها كلمة الشرك، ويقولون: "إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك". (۱۵)

ووقف بعرفة خلافا لهم؛ فإنهم يقفون في مزدلفة ويفيضون منها، ويقولون: لا نفيض إلا من الحرم؛ لأننا أهل الحرم. (۱۶)

وأمر أصحابه الذين لم يسق الهدي بأن يتمتعوا بين العمرة والحج؛ خلافا للمشركين فإنهم يتعتقدون بأن العمرة في أشهر الحج من الفجور. (۱۷) وهكذا خالفهم في كثير من المناسك؛ ليتأسى به المؤمنون، ويجتنبوا من الشرك وآثاره.

3- مراقبة الله تعالٰی

ولا شك أن إحسان النبي في الدرجة الأولى من درجتي الإحسان المذكورتين في حديث جبريل، فكان يراقب الله تعالٰى في كل حال وعمل، وفي كل حين وآن، وفي الحلِّ والترحال. وكان مراقبته الله تعالٰى تظهر في كثرة ذكره لله عز وجل وتسبيحه وتحميده وتمجيده وتهليله وتضرعه وابتهاله ودعائه ومناجاته.

إن ذكر الله تعالٰى من أعظم مقاصد الحج، وشرعت المناسك وتعظيم الشعائر من أجْل ذكره تعالى، كما يقول: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (199) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ... واذكروا الله في أيام معدودات﴾ [البقرة: 198-203]. وقال النبي ﷺ: "إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله"، (۱۸) وقال أيضا: "أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله". (۱۹)

ومما يتجلى به إحسانه في مراقبته تعالى انشغاله بالدعاء، الذي هو من أبرز مظاهر العبودية أمام ذي الجلال والإكرام، من أجْل ذلك أعلن أنه هو العبادة الحقة: الدعاء هو العبادة« (۲۰) لأن حقيقته "إظهار غاية التذلل، والافتقار إلى الله، والاستكانة له، وما شرعت العبادات الا للخضوع للباري وإظهار الافتقار إليه" (۲۱) وفي الحج لم يجد النبي فرصة إلا انتهزه بالدعاء

والابتهال والتضرع والمناجاة، فقد دعا في الطواف، والسعي والوقوف في الصفا والمروة، ويوم عرفة والمشعر الحرام في مزدلفة، وأيام التشريق، وأثناء الدعاء رفع يديه إلى صدره كما يستطعم البائس المسكين،(۲۲) وكان يبكي في الدعاء، كما جاء في حديث جابر "فبدأ بالحجر فاستلمه، وفاضت عيناه بالبكاء، ثم رمل ثلاثا ومشى أربعا حتى فرغ، فلما فرغ قبّل الحجر، ووضع يديه عليه، ومسح بهما وجهه"(۲۳)

وكذلك أمضى أوقاته منذ خروجه من المدينة إلى رجوعه إليها برطب اللسان في الدعاء والمناجاة والاستغفار والتلبية والتهليل والتسبيح والتحمد والتكبير والثناء لله وذكره، مما ملأت به كتب الحديث والسيرة.

ومما يلفت النظر أن المنقول من الأدعية أقل قليل بالنسبة لما لم يُنقَل، لأن المناجات والأدعية أسرار بين المُحِبّ وحبيبه، ولا يحب أحدهما إفشاء الأسرار الخاصة لهم لدى الآخرين؛ لأن الحبيب سبحانه وتعالى أمر محبيه بإخفاء الدعاء، حيث قال: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 55]. قال ابن عباس: ﴿تضرعا وخفية﴾: السر، وقال ابن جرير: ﴿تَضَرُّعًا﴾ تذللا واستكانة لطاعته. ﴿وَخُفْيَةً﴾ يقول: بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه، لا جهارا ومراءاة.(۲۴) قال النبي ﷺ: »يا أيها الناس، اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنه معكم إنه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جده.(۲۵) فينبغي أن يكون الدعاء بالخفية.

على رغم ذلك أنه جهر أحيانا بالدعاء، الذي وصل إلينا منقولا ونسبته قليل، كي يقتدي به أمته، وعند الملاحظة نجد أن الأدعية المنقولة عنه في الحج من الأدعية الجامعة كقوله بين الركنين اليمانيين: "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"(۲۶)

4-تعظيم شعائر الله

شعائر الله هي أمور ظاهرة محسوسة، اختصت به، ونسبت إليه، وتجلت عليها رحمته، بحيث إذا رؤيت ذُكِر الله، وارتبط بها وقائع وأفعال وأحوال تذكر بأيام الله وآلائه، وحسن بلاء أنبيائه. وقد جعل الله تعظيمها تعظيمه، والتفريط في جنبها، تفريطا في جنبه، وسمح للناس أن يقضوا بها حنينهم الكامن في نفوسهم، ورغبتهم الفطرية في الدنو والمشاهدة؛ فإن الفطرة البشرية تبحث عن شيء يراه بعينه، فيوجّه إليه أشواقه، ويقضي به حنينه، ويشبع به رغبته الملحة في التعظيم والدنو.(۲۷) وقد رغّب الله في توقير شعائره، وجعل إكرامها من سمات التقوى، حيث قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32]، كما أنذر من هتكها والاستخفاف بها إذ قال: ﴿...وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ...﴾ [الطلاق: 1].

ولقد أدى النبي ﷺ مناسك الحج كلها معظما لشعائر الله، حيث إنه ﷺ اغتسل للإحرام، ولبد رأسه، وتطيب بأطيب طيب، وساق الهدي مقلَّدا، واغتسل قبل دخول مكة ليزيل أثر السفر، وبدأ بالطواف بعد دخول المسجد، وقبَّل الحجر الأسود، واستلم الركن اليماني، وسعى بين الصفا والمروة، ووقف عليهما طويلا للدعاء والذكر، وصلى خلف مقام إبراهيم، ووقف طويلا بالمشعر الحرام.(۲۸) كل ذلك يدل على تعظيمه لشعائر الله، والمحب دائما يكرم معالم حبيبه وذكرياته.

5- الزهد في الدنيا

كان النبي يبتغي بما يعمل به رضى الله سبحانه وتعالى، ويعرض عما لا ينفعه في الآخرة، ويزهد في الدنيا مع تمكنه للحصول عليها، فإذا حصل على شيء من عرضها أنفقه في سبيل الله، دون أن يدخر لنفسه أو لأهل بيته شيئا منه، "فكان أزهد الناس بالدنيا"،(۲۹) وقال عند الوقوف بعرفة: "لبيك، اللهم لبيك، إنما الخير خير الآخرة".(۳۰)

ومن مظاهر زهده في الحج أنه حج على رحل رثٍّ وقطيفة تساوي أربعة دراهم أو لا تساوي،(۳۱) مرت بعبد الله بن عمر وأصحابه رفقة يمانية ورحالهم الأدم وخطم إبلهم الجرر، فقال عبد الله بن عمر: "من أحب أن ينظر إلى أشبه رفقه وردت الحج العام برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذ قدموا في حجة الوداع فلينظر إلى هذه الرفقة".(۳۲) وكان حجه على رحل، لا في محمل، ولا هودج، ولا عمارية،(۳۳) "حج على رحل وكانت زاملته"(۳۴) وكان يرغِّب الناس في الآخرة ويزهِّدهم في الدنيا، إذ قال قبل الغروب بعرفات: "أيها الناس، إنه لم يبق من دنياكم فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه"،(۳۵)

وكان يعد نفسه من أغمار الناس، ولا يميزها عن الناس بشيء، وأعظم ما يدل على ذلك أنه "جاء إلى السقاية فاستسقى، فقال العباس: يا فضل، اذهب إلى أمك، فأت رسول الله بشراب من عندها، فقال: اسقني، قال: يا رسول الله، إنهم يجعلون أيديهم فيه، قال: اسقني، فشرب منه"،(۳۶) وفي رواية قال: "لا حاجة لي فيه، اسقوني مما يشرب منه الناس".(۳۷) وكان طعامه متواضعا، وحين ذبح أضحيته في حجة الوداع قال لثوبان: "أصلح هذا اللحم، قال ثوبان: "فأصلحته، فلم يزل يأكل منه حتى بلغ المدينة"، وفي رواية: "فلم أزل أطعمه منها حتى قدم المدينة".(۳۸)

6- السكينة والتأني في أداء المناسك

وكان النبي ﷺ يؤدي المناسك بحضور القلب والخشوع والاطمئنان، وبخضوع الجوارح والسكينة والتأني. ويدل على ذلك ما رواه سالم عن ابن عمر أنه كان يرمي الجمرة الأولى

ثم يتقدم فيسهل، فيقوم قياما طويلا مستقبل القبل، فيدعوا رافعا يديه، ثم يرمي الجمرة الوسطى فيأخذ ذات اليسار مما يلي الوادي، فيقوم قياما طويلا مستقبل القبلة رافعا يديه يدعو، ثم يرمي الجمر ذات العقبة من بطن الوادي، ولا يقف عندها، ويقول: "هكذا رأيت رسول الله يفعل "(۳۹)

وكذلك كان يسير سيرا متوسطا لينا بهدوء ووقار، ويؤدي مناسكه بالتأني والاطمئنان، يدل على ذلك حديث عبد الله عباس "أنه دفع مع النبي يوم عرفة، فسمع النبي وراءه زجرا شديدا وضربا وصوتا للإبل، فأشار بسوطه إليهم، وقال: أيها الناس، عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاع"(۴۰) وحديث جابر: "أفاض رسول الله وعليه السكينة". (۴۱)

7- الإكثار من أعمال الخير

الحج موسم الربيع للخيرات، والمسابقة فيها، والإكثار من الطاعات والقربات؛ لأنه يشتمل على خير أيام الدنيا. وقد أكثر النبي ﷺ في حجه من أعمال الخير حسب عادته طوال حياته؛ عملا بقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]، ومما يدل على ذلك: حرصه على أداء المستحبات، كالاغتسال للإحرام، والتطيب، وتقليد الهدي، والإكثار من التلبية والجهر بها حتى رمي جمرة العقبة، وغيرها. وقد أهدى مائة بدنة،(۴۲) مع أنه يكفيه عن كل ذلك سُبع بدنة، أو بقرة، أو واحدة من الغنم(۴۳) وقسم في المساكين بُدُنَه المائة كلها: لحومها وجلودها وجلالها،(۴۴) وقسم الصدقة على الناس في أكثر من موضع.(۴۵) وقد قام النبي بجميع المناسك بنفسه، حتى نحر منها بيده الشريفة ثلاثا وستين بدنة،(۴۶) وأشرك عليا في الهدي معه.(۴۷)

وحينما نتأمل في حجة الوداع للنبي نرى أنه سعى سعيا شديدا لأداء النسك على الوجه الأكمل والأفضل، وترك فعل المفضول إلا إذا وجد فيه مصلحة دينية، كطوافه بالبيت، وسعيه بين الصفا والمروة راكبا،(۴۸) واستلامه الحجر الأسود بمحجن،(۴۹) وذلك عندما أحاطه الناس، فأراد أن يراه الناس؛ ليسألوه ويقتدوا به.

8- الاعتدال والوسطية

من خصائص الدين الإسلامي الاعتدال والوسطية، وهما من أبرز سمات هذه الأمة، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]. والتطرف في الأمور مذموم، سواء كان إفراطا أو تفريطا، وهما من سمات الضالين والمغضوب عليهم. وهدي النبي ﷺ الوسطية والاعتدال، حيث قال ﷺ: »إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة«.(۵۰)

وفي حجه يبرز لنا اعتداله وتوازنه من ناحيتين

إحداهما: اعتداله في أداء حق الله تعالى وتوطيد العلاقة به والإحسان فيه من ناحية، وفي أداء حقوق عباد الله بالإتقان فيه من تعليمهم وتربيتهم، وقيادتهم إلى الطريق المثلى، ورعاية أحوالهم خاصة أحوال الطبقة الضعيفة من النساء والشيوخ والولدان، والحنان على أهل بيته من ناحية أخرى.(۵۱)

ثانيهما

توازنه في أداء حقوق روحه وجسده. فالحج تلبية قلبية لنداء الرحمن بلسان خليله المِحسان ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27] فهو جو إيماني مهيب، قد يفرِط فيه كثير من الحجيج في أداء الحقوق الجسمية، إفراطًا في أداء الحقوق الروحانية، ولكن نجد سيد الأولين والآخرين وقدوة الحجيج والمعتمرين وأسوة الناس أجمعين مُتَّزِنا في أداء حقوقهما. فكما كان راطب اللسان بذكر الرحمن، منهمكا في العبادات بغاية الإحسان، كان معتنيا بحقوق جسده بالاستراحة والاطمئنان. نرى أنه ركب في تنقلاته بين المشاعر،(۵۲) وأثناء قيامه ببعض أعمال الحج كالطواف والسعي ورمي جمرة العقبة،(۵۳) واتخذ من يخدمه ويقوم بأمره،(۵۴) ونام ليلة عرفة ومزدلفة،(۵۵) وترك ليلة جمع صلاة النافلة قبل الصلاتين وبعدهما، ونام تلك الليلة حتى أصبح دون أن يحييها،(۵۶) وأفطر يوم عرفة،(۵۷) واستظل فيه بقية من شعر ضربت له قبل،(۵۸)... ونحو ذلك من الأمور التي تريح الجسد، وتقوّيه على أداء المقصد العظيم من الحج، وهو إقامة ذكر بالدعاء والتضرع والمناجاة، وأداء النسك بحضور القلب وإعمال الفكر، والخشوع والخضوع والاطمئنان من أنواع الإحسان، كما قالت أم الحصين: "حججت مع رسول الله حجة الوداع، فرأيته حين رمى جمرة العقبة وانصرف وهو على راحلته، ومعه بلال وأسامة، أحدهما يقود به راحلته، والآخر رافع ثوبه على رسول الله من الشمس، قالت: فقال رسول الله ﷺ قولا كثيرا، ثم سمعته يقول: إن أمّر عليكم عبد مجدع أسود يقودكم بكتاب الله تعالى، فاسمعوا له وأطيعوا"(۵۹)

9- التعليم والتربية

بُعث رسول الله "معلما ميسرا"(۶۰)؛ فعلَّم أمته كل شيء يتعلق بدينه، ومن تعاليمه وتربياته أنه علَّمهم مناسك الحج. حينما أراد أن يحج أذَّن في الناس بأنه يريد الحج؛ ليستعد من يريد مرافقته في السفر، فقدم المدينة خلق كثير، ولحق به أعداد غفير كل واحد منهم يلتمس أن يأتم به ويأخذ عنه،(۶۱) فاختلط بالناس وأشرف لهم وبرز طوال الموسم،(۶۲) وكان لا يصرف أحد عنه ولا يدفع،(۶۳) ولم يكن حوله ضرب، ولا طرد، ولا قول إليك إليك.(۶۴)

وحرص على البلاغ وإقامة الحجة على الخلق فقال: »لتأخذوا مناسككم فإني لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتى هذه، (٦٥) واتخاذه من ينصت الناس ويسكتهم، (٦٦) كما في حديث جرير أن النبي قال له في حجة الوداع: "استنصت الناس" فقال: "لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض"، (٦٧) يطلب منهم الشهادة له والبلاغ بعد أن يتم تعليمه إياهم: "ألا هل بلغت؟"، (٦٨) فيشهد الناس له بذلك قائلين: "نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت" (٦٩)

ولم يقتصر تعليمه على الأصحاء والكبار، بل عَلم المرضى الضعفة والصغار، ومن ذلك قوله لضباعة حين قالت: يا رسول الله، إني أريد الحج وأنا شاكية؟ فقال النبي: حجي، واشترطي أن محلي حيث حبستني"، (٧٠) وقوله لأم سلمة حين اشتكت إليه أنها تشتكي: "طوفي من وراء الناس وأنت راكبة"، (٧١) وأمره للظعن والضعفة أن ينفروا من جمع بليل (٧٢) وقوله لابن العباس: "هات، القط لي"، يقول ابن عباس: "فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فوضعتهن في يده، وجعل يقول بهن في يده بأمثال هؤلاء" (٧٣)

وكان يرغِّب في الأعمال بذكر فضائلها، ومن ذلك: قوله: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير"، (٧٤) وقوله: "من طاف بالبيت وصلى ركعتين، كان كعتق رقبة" (٧٥) وقوله: "مسح الحجر والركن اليماني يحط الخطايا حطا"، (٧٦) وقوله لسائل: فأما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام فإن لك بكل وطأة تطأها راحلتك، يكتب الله لك حسنة ويمحو عنك سيئة، وأما وقوفك بعرفة فإن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة، فيقول: هؤلاء عبادي جاؤوا شعثا غبرا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني، فكيف لو رأوني، فلو كان عليك مثل رمل عالج، أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوبا غسلها الله عنك، وأما رميك الجمار فإنه مذخور لك، وأما حلقك رأسك فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة، فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك". (٧٧)

ونهى عن المحرمات العظام التي اتفقت الشرائع على تحريمها، وهي الدماء، والأموال، والأعراض؛ إذ قال: "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا". (٧٨)

كما بيَّن بعض الأحكام الشرعية، ككيفية غسل المحرم وتكفينه، كما في حديث ابن عباس قال: "بينما رجل واقف بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته، قال النبي: "اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه؛ فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا". (٧٩)

10-التيسير والسماحة

الإسلام دين اليسر والسماحة كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]. وكان النبي يقول: »يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا،[٨٠] فكان إذا سأله سائل عن النسك يجيبه، ويجنح إلى التيسير والتخفيف، والشواهد على ذلك كثيرة، منها: قوله لضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب حينما سألت: يا رسول الله، إني أريد الحج وأنا شاكية؟ فقال النبي: حجي، واشترطي أن محلي حيث حبستني"،[٨١] وحديث عبد الله بن عمرو "أنه شهد النبي يخطب يوم النحر، فقام إليه رجل فقال: كنت أحسب أن كذا قبل كذا، حلقت قبل أن أنحر، نحرت قبل أن أرمي، وأشباه ذلك، فقال النبي: افعل ولا حرج"،[٨٢] وحديث ابن عمر قال: "استأذن العباس بن عبد المطلب رسول الله أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته، فأذن له"،[٨٣] وحديث عدي قال: "رخص رسول الله لرعاء الإبل في البيتوتة، أن يرموا يوم النحر، ثم يجمعوا رمي يومين بعد يوم النحر فيرمونه في أحدهما"،[٨٤] ومنها قوله: "لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي، وجعلتها عمرة، فمن كان ليس معه هدي فليحِل، وليجعلها عمرة. فقام سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله ألعامنا هذا، أم لأبد؟ فشبك رسول الله أصابعه واحدة في الأخرى، وقال: دخلت العمرة في الحج—مرتين-، لا، بل لأبد أبد"[٨٥]

11-النصح بالمواعظ الحسنة

أمر الله نبينا محمدا ﷺ بالتذكير والنصيحة قائلا: ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ [الغاشية: 21]، لأنه سبيل مخاطبة القلوب، وجذب الخواطر، من أجل هذا كان النبي يهتم به كثيرا، وكان يتخول أصحابه بالموعظة[٨٦] مذكرا إياهم بمواعظ بليغة، تذرف منها العيون، وتوجل منها القلوب.[٨٧]

وفي الحج أيضا ذكّرهم ووعظهم ونصحهم مواعظ حسنة في مواطن كثيرة، فوعظهم في عرفات، وأثناء تنقله بين المشاعر، وفي منى يوم النحر، وأيام التشريق، وفي طريق العودة إلى المدينة. ويكرر الشيء الأهم في عدة مواطن كي يستقر في نفوس المستمعين، كتكراره حرمة الدماء والأموال والأعراض في كل من يوم عرفة، ويوم النحر، وأوسط أيام التشريق.[٨٨]

وكان يعظهم في موضوعات مختلفة، ونذكر بعضا منها على سبيل المثال

إنه حث على إتمام الحج على الوجه المطلوب، وبشّر بالثواب الجزيل لمن فعل ذلك، ومن ذلك قوله: "من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"،[٨٩] وقال: "ما من يوم أكثر

أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء". (۹۰)

وأمر بالتقوى وما يُقرِّبهم إلى الجنة فقال: "اتقوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم"، (۹۱) ورغَّب في حسن الخلق، وفعل الخيرات، كما قال: "ليس البر بإيضاع الخيل ولا الركاب"، (۹۲) وقوله حين سئل: ما بر الحج؟ قال: "إطعام الطعام وطيب الكلام". (۹۳)

وأوصى ببر الوالدين وصلة الأرحام، حيث قال بمنى: "أمك وأباك، وأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك"، (۹۴) وأوصى بالإحسان إلى الزوجات والأرقاء، كما قال: "اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله"، (۹۵) وفي رواية: "ألا واستوصوا بالنساء خيرا، فإنما هن عوان عندكم"، (۹۶) وجاء في حديث مرفوع: "أرقاءكم أرقاءكم، أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، فإن جاءوا بذنب لا تريدون أن تغفروه، فبيعوا عباد الله ولا تعذبوهم". (۹۷)

وقد حث على اجتناب أذية عباد الله، وهجر المعصية، إذ قال: "ألا أخبركم بالمؤمن: من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب"، (۹۸) وقال لعمر: "يا عمر، إنك رجل قوي، لا تزاحم على الحجر فتؤذي الضعيف". (۹۹)

ونهى عن الغلو في الدين والكذب عليه وحث على التبليغ عنه، فقال: "يا أيها الناس، إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين". (۱۰۰) وقال: "وقد رأيتموني وسمعتم مني وستسألون عني، فمن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار". (۱۰۱)

وحثه الناس في خطبته يوم عرفة على الاعتصام بالعروة الوثقى؛ لأنه واقٍ من الضلال والزيغ، فقال: "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله". (۱۰۲)

12-توحيد الأمة المسلمة

إن من مقاصد الإسلام توحيد كلمة المسلمين، وتسوية صفوفهم، وجمع قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103] وقال: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52].

والحج فرصة ذهبية جاهزة لتوحيد الأمة وتحذيرها من دواعي الفرقة؛ لأنه يحمل في ذاته وحدة الشعور ووحدة المشاعر بين الناس. وقد اهتم النبي به اهتماما فائقا بصورتي، ومن

أبرزها:

ا- تسويته بين أفراد المسلمين، وعدم التفضيل بينهم إلا بالتقوى، حيث قال: "إن ربكم واحد، وأباكم واحد. ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى". (۱۰۳)

ب- أمره بالسمع والطاعة لولاة المسلمين والنصيحة لهم، ولزوم جماعتهم إذ قال: "إن أُمِّر عليكم عبد مجدع أسود، يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا"، (۱۰۴) وقال أيضا: "ثلاث لا يُغِلُّ عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم". (۱۰۵)

ت- نهيه عما يؤدي إلى الفرقة والفتنة في المجتمع، كالمقاتلة، حيث قال: "لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض"، (۱۰۶) والظلم وأخذ أموال الناس بغير الحق، كما قال: "اسمعوا مني وتعيشوا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، إنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه". (۱۰۷)

13- الرفق والرحمة

إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، وقد ذكر الله الرفق من أوصاف نبيه، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]

وفي الحج نرى مظاهر رفقه بنفسه وأمته ومن أهمها

ا- أنه ركب على المركب منذ بداية السفر من المدينة حتى رجوعه إليها، وأثناء تنقله بين المشاعر، واستظل من حراة الشمس، وهذا رحمة ورفق بنفسه من جهة، ورفق بمن يريد أن يتأسى به من جهة أخرى. فإنه لو فعل خلافها لكان على أمته في التأسي به فيها مشقة عظيمة. (۱۰۸)

ب- وأنه قصَر خطبة يوم عرفة. (۱۰۹)

ت- وأنه اختار لأمته الأيسر دائما، كأمره من لم يسبق الهدي من أصحابه بالحل، وجمعه للصلوات في عرفة ومزدلفة، وقصره للصلاة بمنى. (۱۱۰)

ث- وأنه أمر أصحابه بأن ينحروا هديهم في رحالهم، (۱۱۱) كما أنه أذن للنساء والضعفة والمرضى بأن يرموا قبل طلوع الشمس؛ لثقل حالهم، وللخوف عليهم من مزاحمة الناس وحطمهم. (۱۱۲)

ج- وأنه أمر أصحابه بالرفق بأنفسهم، ومما يدل على ذلك قوله حين رأى رجلا يسوق هديا وهو يمشي: "اركبها. فقال: إنها بدنة. فقال: اركبها. قال: إنها بدنة. قال: اركبها، ويلك – في الثالثة أو في الثانية –"، (۱۱۳) وقوله عند رمي الجمرة: "يا أيها الناس، لا يقتل بعضكم بعضا، ولا

يصب بعضكم بعضا، وإذا رميتم الجمرة فارموها بمثل حصى الخَذْف". (۱۱۴)

ح- وأنه حث الناس على تعجيل الرحيل بعد أداء حجهم رفقا بأنفسهم وإحسانا إلى أهليهم حيث قال لهم: "إذا قضى أحدكم حجه فليعجل الرجوع إلى أهله، فإنه أعظم لأجره". (۱۱۵)

14- جعله نفسه أسوة حسنة للآخرين

إن الله جعل نبيه أسوة حسنة للعالمين، حيث قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 20]، تحليا بهذه الصفة العظيمة، هو كل ما يأمر به أمته، جعل نفسه قدوة حسنة للمأمورين، ونفّذه في أهله وعشيرته، كما جاء في خطبة حجة الوداع حين قال: ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ربيعة بن الحارث، كان مسترضعا في بني سعد، فقتلته هذيل. وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع. (۱۱۶)

وهو حينما كان يحث أصحابه على بر الحج، والاشتغال بطاعة الله تعالى والتقرب إليه، في الوقت نفسه كان أكثرهم تقربا إليه، وخشية له. (۱۱۷)

وأنه حينما بيّن للناس مشروعية الحلق والتقصير، ورغّبهم في الحلق ودعا لفاعليه، (۱۱۸) كان هو من المحلقين. (۱۱۹) وأنه حينما نهاهم عن الغلو في الدين، وأمرهم بأن يرموا الجمرة بمثل حصى الخذف، رماها هو بمثل ما أمرهم أن يرموا به. (۱۲۰)

خاتمة البحث

وفي ختام البحث نريد أن نشير بالإيجاز إلى بعض أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث، ولعل من أهمها:

1- الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، ويجب على من استطاع إليه سبيلا، وهو من أفضل الطاعات بعد الإيمان، والجهاد في سبيل الله لمن يقدر على ذلك، وأفضل من الجهاد لمن لم يقدر عليه.

2- وقد أمر الله المؤمنين بأن يتبعوا آثار نبيه مطلقا، وجعل إطاعته في إطاعة رسوله، وجعل صدق دعوى محبته مقيدا باتباعه، كما أمر النبي ﷺ باتباعه، وأخذ العبادات - من ضمنها مناسك الحج - منه ﷺ.

3- ولقد حج النبي ﷺ حجته في السنة العاشرة من الهجرة مع آلاف من أصحابه، وكان متزينا بالأخلاق العظيمة، والآداب الفاضلة، فامتلك بذلك مقومات القيادة الناجحة. وقد تجلى

في شخصيته ﷺ أثناء حجة الوداع الإحسان بأسر أنواعه، وهو في العبادات بمثابة الروح في الجسد، ومن المعلوم لدى الجميع أن الجسد لا قيمة له بدون الروح.

4- الإحسان مصدر أحسن يُحسن إحسانا، مشتق من مادة "حسن". وكلمة الحسن تطلق في معاجم اللغة العربية على الجميل، ضد القبيح، كما تطلق كلمة "الإحسان" على ضد الإساءة. وقد عرَّف النبي ﷺ الإحسان في حديث جبريل بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". والإحسان مجاله واسع وشامل لجوانب الحياة كلها، فينبغي للمؤمن أن يلتزمه في كل عمل يقوم به في حياته.

5- المتتبع لأعمال الرسول ﷺ في حجة الوداع يرى أنه تجلى فيها الإحسان بأروع أمثاله بارزا في أعلى قمته، ولا يسع لأحد أن يصل إليه، فضلا عن أن يتجاوزه. ونحن قد أشرنا إلى بعض مظاهر إحسانه ﷺ۔

المراجع والمصادر

۱۔ صحيح أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، رقم: 26، أن رسول الله سُئِل: أي العمل أفضل؟ فقال: »إيمان بالله ورسوله«. قيل: ثم ماذا؟ قال: »جهاد في سبيل الله«. قيل: ثم ماذا؟ قال: »حج مبرور«. صحيح البخاري، رقم: 50، صحيح مسلم، رقم: 102.

۲۔ صحيح مسلم، رقم: 3197.

۳۔ تفسير الطبري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 1، 2000م، تحقيق أحمد محمد شاكر، 257/19.

۴۔ صحيح مسلم، رقم: 6708.

۵۔ ينظر: القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، موقع يعصوب، مادة حسن 425-424/6.

۶۔ ينظر: المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مادة (حسن)، 174/1.

۷۔ صحيح البخاري، رقم: 50، وصحيح مسلم، رقم: 9.

۸۔ ينظر: الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة مقارنة مع الديانات الأخرى للسيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، بيروت: الدار الشامية، ص 209-210.

۹۔ صحيح مسلم، رقم: 1218.

۱۰۔ جامع الترمذي، رقم: 827، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: 661، سنن ابن ماجة، رقم: 2366، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، رقم: 2915.
والمراد بالعج: رفع الصوت بالتلبية، وبالثج: سيلان دم الهدي، ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: 207/1، 184/3.

۱۱۔ سنن الترمذي، رقم: 3585، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: 2837.

۱۲۔ المستدرك على الصحيحين، للحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، رقم: 1696، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجه.

۱۳۔ صحيح البخاري، رقم: 369، صحيح مسلم، رقم: 1347.

۱۴۔ صحيح مسلم، رقم: 1218.

۱۵۔ ينظر: صحيح مسلم، رقم: 1185.

۱۶۔ ينظر: صحيح مسلم، رقم: 1219.

۱۷۔ ينظر: صحيح البخاري، رقم: 7230.

۱۸۔ جامع الترمذي: رقم: 902، وقال حسن صحيح، المستدرك للحاكم: 459/1، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

۱۹۔ صحيح مسلم، رقم: 1141.

۲۰۔ سنن الترمذي، رقم: 2969، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم 2590.

۲۱۔ فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بيروت: دار المعرفة، 1379هـ، 95/11.

۲۲۔ ينظر: صحيح مسلم، رقم: 1218.

۲۳۔ السنن الكبرى للبيهقي: 74/5.

۲۴۔ تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م، 428/3.

۲۵۔ صحيح البخاري، رقم: 3968، 6021، 6046، 6236، 6952، اللفظ له، صحيح مسلم، رقم: 2704.

۲۶۔ سنن أبي داود، رقم: 1892، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم: 1666.

۲۷۔ ينظر: الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة مقارنة مع الديانات الأخرى للسيد أبي الحسن على الحسني الندوي، بيروت: الدار الشامية، ص 210.

۲۸۔ ينظر: سنن الترمذي، رقم: 830، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: 664، صحيح البخاري، رقم: 1615، صحيح مسلم، رقم: 1218.

۲۹۔ المسند لأحمد، رقم: 17773، وهو حديث صحيح

۳۰۔ صحيح ابن خزيمة، رقم: 2831، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 5058.

۳۱۔ ينظر: سنن ابن ماجة، رقم: 2890، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، رقم: 2337.

۳۲۔ ينظر: المسند لأحمد، رقم: 6016، وإسناده صحيح على شرط الشيخين. والأدم: جمع أديم، وهو: الجلد المدبوغ، والخطم: جمع خطام، وهو: حبل يجعل في أنف الناقة لتقاد به، والحزم: حلقة من الشعر تجعل في أحد جانبي أنف الناقة، ينظر: المصباح المنير للفيومي: 168/1.

۳۳۔ ينظر: زاد المعاد: 160/2. المحمل والهودج والعمارية: أدوات تجعل فوق الدابة ليسهل على المرء ركوبها، ويترفه فيها.

۳۴۔ ينظر: صحيح البخاري، رقم: 1517، وفي رواية أبي داود، رقم: 1818 عن أسماء: "أن

زمالة أبي بكر وزمالة رسول الله كانت واحدة"، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم: 1602. الزاملة هي الراحلة التي يحمل عليها المتاع، أي: لم تكن له ناقة خاصة.

۳۵۔ المسند لأحمد، رقم: 6173.

۳۶۔ صحيح البخاري، رقم: 1636.

۳۷۔ المسند لأحمد، رقم: 1814، وهو حديث صحيح.

۳۸۔ صحيح مسلم، رقم: 1975.

۳۹۔ صحيح البخاري، رقم: 1751، 1753، وقال ابن القيم في الزاد: 286/2.

۴۰۔ صحيح البخاري، رقم 1671، ومعنى الإيضاع: السير السريع، ومن هذا الحديث أخذ عمر ابن عبد العزيز قوله لما خطب الناس بعرفة: "ليس السابق من سبق بعيره وفرسه، ولكن السابق من غفر له"، ينظر: فتح الباري 522/3.

۴۱۔ سنن النسائي، رقم: 3024، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، رقم: 2827.

۴۲۔ ينظر: صحيح البخاري، رقم: 1718.

۴۳۔ ينظر: صحيح البخاري، رقم: 1688، زاد المعاد لابن القيم: 221/2.

۴۴۔ انظر: صحيح مسلم، رقم: 1317.

۴۵۔ انظر: صحيح مسلم، رقم: 1679، سنن أبي داود، رقم: 1633، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم: 1438.

۴۶۔ ينظر: سنن ابن ماجة رقم: 3074، وصحح الحديث الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، رقم: 2494.

۴۷۔ ينظر صحيح البخاري، رقم: 2506، صحيح مسلم، رقم: 1218.

۴۸۔ ينظر صحيح البخاري، رقم: 1608، المسند لأحمد، رقم: 3492، 14415، وإسناده صحيح.

۴۹۔ ينظر صحيح البخاري، رقم: 1715، صحيح مسلم، رقم: 1218، والمحجن: عصا منحنية الرأس، ينظر: النهاية لابن الأثير: 347/1.

۵۰۔ صحيح البخاري، رقم: 39.

۵۱۔ ينظر: صحيح البخاري، رقم: 305، 1556، 1751، وصحيح مسلم، رقم: 1218.

۵۲۔ ينظر: صحيح البخاري، رقم: 1666، صحيح مسلم، رقم: 1218.

۵۳۔ ينظر: صحيح البخاري، رقم: 1607، صحيح مسلم، رقم: ، 1297، 1273.

۵۴۔ ينظر: صحيح مسلم، رقم: 1313، المسند لأحمد، رقم: 27290.

۵۵۔ ينظر: صحيح مسلم، رقم: 1218.

۵۶۔ ينظر: صحيح البخاري، رقم: 1673، زاد المعاد لابن القيم: 247/2.

۵۷۔ ينظر: صحيح البخاري، رقم: 1658.

۵۸۔ ينظر: صحيح مسلم، رقم: 1218.

۵۹۔ صحيح مسلم، رقم: 1298.

۶۰۔ صحيح مسلم، رقم: 1478.

۶۱۔ ينظر: سنن أبي داود، رقم: 1905، وصحح الحديث الألباني في صحيح أبي داود، رقم: 1676.

۶۲۔ ينظر: صحيح مسلم، رقم: 1187، 1218، 1273.

۶۳۔ ينظر: صحيح مسلم، رقم: 1274، المسند لأحمد، رقم: 2842، وإسناده حسن.

۶۴۔ ينظر: سنن ابن ماجة، رقم: 3035، وصحح الحديث الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، رقم: 2461، وإليك إليك: ابتعد.

۶۵۔ صحيح مسلم، رقم: 3197.

۶۶۔ ينظر: سنن ابن ماجة، رقم: 3024، وصحح الحديث الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، رقم: 2450.

۶۷۔ صحيح البخاري، رقم: 121.

۶۸۔ ينظر: صحيح البخاري، رقم: 1741، المسند لأحمد، رقم: 20695، وهو حديث صحيح لغيره.

۶۹۔ ينظر: صحيح مسلم، رقم: 1218.

۷۰۔ صحيح مسلم، رقم: 1207.

۷۱۔ صحيح البخاري، رقم: 464.

۷۲۔ صحيح البخاري، رقم: 1679، سنن النسائي، رقم: 3034، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي، رقم: 2840، وقال: صحيح الإسناد.

۷۳۔ ينظر: سنن النسائي، رقم: 3059، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، رقم: 2865.

۷۴۔ جامع الترمذي، رقم: 3585، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: 2837.

۷۵۔ سنن ابن ماجة، رقم: 2956، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، رقم: 2393.

۷۶۔ صحيح ابن خزيمة، رقم: 2729، صحيح ابن حبان، رقم: 3698، وإسناده قوي.

۷۷۔ مصنف عبد الرزاق، رقم: 8830، واللفظ له، المعجم الأوسط للطبراني، رقم: 2320، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 1360، وينظر: صحيح مسلم، رقم: 1348، جامع الترمذي، رقم: 3585، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: 2837.

۷۸۔ صحيح البخاري، رقم: 67.

۷۹۔ صحيح البخاري، رقم: 1267، صحيح مسلم، رقم: 1206.

۸۰۔ صحيح البخاري، رقم: 5774، وصحيح مسلم، رقم 1734.

۸۱۔ صحيح مسلم، رقم: 1207.

۸۲۔ صحيح البخاري، رقم: 1736.

۸۳۔ صحيح البخاري، رقم: 1634.

۸۴۔ جامع الترمذي، رقم: 955، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: 763.

۸۵۔ صحيح مسلم، رقم: 1218.

۸۶۔ انظر: صحيح البخاري، رقم: 70، ومعنى يتخول: يتعهد ويتحين الوقت المناسب للوعظ، مخافة سآمتهم وملهم، انظر: غريب الحديث لابن الجوزي: 313/1.

۸۷۔ انظر: جامع الترمذي، رقم: 2676، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: 2157.

۸۸۔ صحيح مسلم: 1218، صحيح البخاري: 67، 1739، المسند لأحمد: 20695.

۸۹۔ صحيح البخاري: 1521

۹۰۔ صحيح مسلم، رقم: 1348.

۹۱۔ جامع الترمذي، رقم: 616، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: 512، وانظر: المسند لأحمد، رقم: 15883، وسنده ضعيف، والحديث حسن بمجموع طرقه.

۹۲۔ صحيح البخاري، رقم: 1671، المسند لأحمد، رقم: 2264، وهو حديث صحيح، واللفظ له.

۹۳۔ المستدرك للحاكم: 658/1، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد: 207/3، والألباني في صحيح الجامع، رقم: 2819.

۹۴۔ المعجم الكبير للطبراني، رقم: 484، المختارة للضياء، رقم: 1389، وقال: إسناده صحيح، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 1400.

۹۵۔ صحيح مسلم، رقم: 1218.

۹۶۔ جامع الترمذي، رقم: 3087، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: 2464.

۹۷۔ المسند لأحمد، رقم: 16409، وإسناده ضعيف، وله أصل عند الشيخين من حديث أبي ذر، انظر: صحيح البخاري، رقم: 30، صحيح مسلم، رقم: 1661.

۹۸۔ صحيح ابن حبان، رقم: 4862، سنن ابن ماجة، رقم: 3936، وصححه الألباني في صحيح

سنن ابن ماجة، رقم: 3179.

۹۹۔ المسند لأحمد، رقم: 190.

۱۰۰۔ سنن ابن ماجة، رقم: 3029، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، رقم: 2455.

۱۰۱۔ المسند لأحمد، رقم: 23544، وسنده صحيح.

۱۰۲۔ صحيح مسلم، رقم: 1218.

۱۰۳۔ المسند لأحمد، رقم: 23536، وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد: 266/3 بأن رجاله رجال الصحيح.

۱۰۴۔ صحيح مسلم، رقم: 1298.

۱۰۵۔ سنن ابن ماجة، رقم: 3056، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، رقم: 2480.

۱۰۶۔ صحيح البخاري، رقم: 121.

۱۰۷۔ المسند لأحمد، رقم: 20695.

۱۰۸۔ انظر: صحيح البخاري، رقم: 1666، صحيح مسلم، رقم: 1218.

۱۰۹۔ انظر: صحيح البخاري، رقم: 1660.

۱۱۰۔ انظر: صحيح البخاري، رقم: 1656، صحيح مسلم، رقم: 1218.

۱۱۱۔ ينظر: صحيح مسلم، رقم: 1218.

۱۱۲۔ صحيح البخاري، رقم: 1679، سنن أبي داود، رقم: 1942، وقال ابن كثير في السيرة: 364/4 بعد إيراده له: تفرد به أبو داود، وهو إسناد جيد قوي، رجاله ثقات، وانظر أيضا: زاد المعاد لابن القيم: 252/2، السيرة النبوية لابن كثير: 363/4.

۱۱۳۔ صحيح البخاري، رقم: 1689.

۱۱۴۔ المسند لأحمد، رقم: 18087، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 7890.

۱۱۵۔ المستدرك للحاكم: 650/1، السنن الكبرى للبيهقي: 259/5، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 732.

۱۱۶۔ صحيح مسلم، رقم: 1218.

۱۱۷۔ انظر: صحيح البخاري، رقم: 1751، صحيح مسلم، رقم: 1218. (صحيح البخاري: 1671، 1718، 1819)

۱۱۸۔ انظر: صحيح البخاري، رقم: 1727، 1728.

۱۱۹۔ انظر: صحيح البخاري، رقم: 1729، وفيه أن النبي حلق هو وطائفة من أصحابه، وقصر بعضهم.

۱۲۰۔ انظر: صحيح مسلم، رقم: 1299.